[16] 2 - ان معاوية سأل ضرار بن جزء بعد موت على عنه، فقال: صف لي عليا فقال: أو تعفيني ؟ قال: صفه، قال: أو تعفيني ؟ قال: لا اعفيك قال: اما إذ لا بد فاقول ما اعلمه منه. وا كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وانطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان وا غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفيه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب. كان وا كاحدنا، يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا اتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن وا مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة، ولا نبتدئه عظمة، ان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم اهل الدين، ويحب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله. فاشهد با لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله، وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين وكانى اسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا ابي تعرضت ؟ ام الي تشوقت ؟ هيهات، هيهات غرى غيرى قد باينتك ثلاثا لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير، وخطرك كثير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. قال: فذرفت دموع معاوية على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال معاوية: رحم ا ابا الحسن كان وا كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (1) هذه شذرات من فضائله، وقبسات من مناقبه الكثيرة التي حفظها التاريخ عن تلاعب الايدى. غير انه لايعرف عليا غير خالقه، وبعده صاحب الرسالة الكبرى ابن عمه المصطفى

_____ (1) الشرح الحديدي ج 18 ص 225 وغيره

_____